بسام الشكعة
رجـــــل
وشـــــعب
في مواجهـــة
الاحـــــتلال

(١٥)

محاولات اغتيال

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

في يوم ٢ يونيو ١٩٨٠ تجمع اثنان من رؤساء البلدية المطرودين ومعهم القاضي في لقاء كبير بأعضاء مجلس العموم بلندن – ليتحدثوا إليهم عن التجربة التي مرت بهم .

في هذا اليوم جاءت الأنباء بخبر عن انفجار قنبلة في سيارة كريم خلف رئيس بلدية رام الله وأن ساقه قد بترت في عملية جراحية . وأن قنبلة أخرى انفجرت عندما كان بسام الشكعة يدير محرك سيارته وأنه كان في حالة صحية سيئة عندما تم بتر ساقيه .

قال رئيس بلدية حلحول أنه ليس لديه أدنى شك عن مسئولية مرتكب التفجيرات رئيس بلدية وقاضي الخليل اتفقا معه في أنها مسئولية السلطات الإسرائيلية وأن الأمر في الأغلب تم التخطيط والتدبير له في وزارة الدفاع .

قنبلة ثالثة وضعت في جراج سيارة رئيس بلدية البيرة ولكن لأنه سمع عن الانفجارين الأخيرين مبكرًا .. فقد أخذ حذره ولم يصب بأذى .

ذكر تقرير لصحيفة التايمز في ٦ يونيو ١٩٨٠ أن بسام الشكعة تم نقله إلى الأردن لعلاجه وقال التقرير أن الجناح اليميني المتطرف هم من نفذوا الهجمات .

أوضح التقرير أن نقل الشكعة المفاجئ من نابلس إلى الأردن قامت به عائلته بعد أن قال الأطباء المعالجون أنه لا توجد لديهم الإمكانيات الكافية لإنقاذه لا سيما أنهم واجهوا تعقيدات من جانب إسرائيل .

وقد رفضت العائلة عرضًا من حكومة إسرائيل لعلاجه في مستشفياتها وبدلاً من ذلك حصلت على إذن بنقله إلى عمّان . ثم النقل بسرعة بعد أن قرر الأطباء أن ضغط الدم وصل إلى مستوى حرج .

وكما هو معتاد في الشأن الفلسطيني فقد أخفت الصحافة الغربية معظم الحقائق المهمة المتعلقة بالهجمات لأنه كان ثمة تخوف من كشف كل الحقائق وإلا سوف تحدث عاصفة .

القنبلة التي كانت تزن كيلو ونصف حطمت جميع النوافذ بمنزل الشكعة .

شقيق الشكعة الذي كان على مسافة غير بعيدة من المنزل حين سمع صوت الانفجار حسب أنه اختراق لحاجز الصوت (من إحدى الطائرات) .

ولأن السلطات الإسرائيلية كانت تهدف إلى التخلص من بسام الشكعة فقد قطعت كل أسلاك التليفون بمنزله ، ولما حاولت الأسرة الاتصال بالتليفون وطلب المساعدة وجدت هذه الأسلاك مقطوعة .

قال الشكعة أنه يريد أن يؤكد أنه رفض العلاج بمستشفى إسرائيلي لمجرد أنه إسرائيلي – وهذا غير حقيقي – هذا فضلاً عن حقيقة أنه لم يكن مستعدًا لقبول تغطية الإسرائيليين لجريمتهم بهذه الوسيلة . فقد تذكر ما حدث لمحاميته السيدة فاليسيا لانجر التي تلقت تهديدات بالقتل .

وكاد القتل أن يتم فعلاً حين حاول أحد المستوطنيين متعمدًا أن يصدمها بسيارته إلا أنها جرت مبتعدة عن الطريق وظل مستمرًا في محاولته حتى أنقذها أحد العاملين في مكتبها بدفعها بعيدًا عن الطريق .

ورغم ذلك أصيبت بجراح : ولولا نجاح زميلها في دفعها بعيدًا عن الطريق لكانت قد لقيت حتفها فورًا .

وقد عولجت بعد ذلك في أحد المستشفيات الإسرائيلية . قال لها الطبيب أنه سوف يشعر بالخجل إذا ما أخبر زوجته وأطفاله وأصدقائه أنه قام بعلاجها لأنها تدافع عن السجناء الفلسطينيين السياسيين ولهذا فهي خائنة .

نقطة أخرى تؤخذ في الاعتبار وهي أنه عندما نقل الشكعة إلى الأردن فقد كان في حالة سيئة جدًا حتى أن ضغط الدم بلغ نقطة الصفر وتوقف قلبه مرتين رغم ذلك حين كانوا يعبرون به كوبري دانيا على الحدود الأردنية – رفضت السلطات

الإسرائيلية السماح له بالعبور من هناك وجعلت سيارة الإسعاف تعبر من فوق كوبري اللنبي مما أضاف ٤٥ دقيقة للرحلة .

هناك ملحوظة أخرى مهمة للغاية وهي أنه بالنظر إلى حالات ردود الفعل الانتقامية الناجمة عن الهجمات على المستوطنين اليهود بفرض الحصار وحظر التجوال والاعتقال والضرب والإهانة . هذا يظهر حقيقة كيف أنه لا أحد يحاول تفهم نظرة سلطات الاحتلال لكل من اليهود والعرب .

هناك جانب آخر مهم وهو الاعتقاد أن سبب عدم التحقيق في حادث الانفجار هو أن مرتكبيه معروفون وأنهم فضلاً عن ذلك يتمتعون بالحماية .

في الحقيقة هناك أكثر من دليل قوي ودافع يؤكد صحة هذا القول .

لا أحد قام باستجواب زوجة الشكعة أو أطفاله أو جيرانه وهو يعرف أن خط تليفونه قطعت عنه الحرارة . وهذا ما جرى لخطوط تليفونات رؤساء البلديات الآخرين رغم أن تليفون الشكعة كان يعمل قبل الانفجار فقد تحدث من خلاله إلى أحد أصدقائه .

يبدو أنه لابد من الوصول إلى استنتاج حقيقة أخرى وهي أن النية كانت مبيتة عند وقوع الانفجارات .

هناك وقائع أخرى مهمة . على سبيل المثال قام الحاكم العسكري باستدعاء رئيس بلدية جنين لحديث معه وقال له : لو أنك بقيت في مواجهة مع الاحتلال فإنك سوف تعاقب بدنيًا . وقال رئيس بلدية القبطية في اليوم التالي للهجوم عليه – كما يقول الشكعة – لابد أن تضع في حسبانك ما جرى بالأمس .

كل هذه العوامل تشير بوضوح – هكذا يضيف الشكعة –إلى مسئولية هؤلاء عن الهجمات .

في أعقاب الهجوم لاحظ أحد أبناء الشكعة آثار أقدام في فناء المنزل حيث

انفجرت القنبلة – كما لاحظ أنه قد وضع وتد خشبي في أحد جوانب حديقة المنزل حتى يستطيع أحد التسلق فوقه .

استدعت الأسرة الشرطة التي جاء أفراد منها وقاموا بفحص آثار الأقدام ثم جاء ضباط من سلطات الاحتلال ساروا على أقدامهم في الممرات وتفحصوا المكان حول المنزل من جميع الاتجاهات إلى الأمام والخلف حتى يطمسوا آثار الأقدام .

كما أزالوا الوتد . تقول عائلة الشكعة أن رجال الأمن الإسرائيليين كانوا يتجولون حول المنزل . يراقبونه متطفلين ويرصدون تحركات من بالداخل لذا يرون أنه من المستحيل لأي شخص زراعة قنبلة دون علمهم .

نقطة أخرى مهمة – لوحظ قبل الانفجار – تواجد سيارات الأمن الإسرائيلي التي كانت تحوم حول المنزل – وحين وقع الانفجار (الذي سمعه شقيقه من مسافة قريبة) لم يتواجد أحد منهم .

وفي أعقاب الانفجار انتشرت الشائعات في نابلس هذه الشائعات رددت أن ثمة شيء وقع لرئيس البلدية . ولذا ظل الأصدقاء يستفسرون ويسألون .. وبعد ساعات من الهجوم أعلن راديو إسرائيل أن العرب قد يكون لهم صلة بالحادث الأمر الذي تردد في بث عدد من المراسلين الأجانب المؤيدين للصهيونية في الضفة الغربية للأخبار .

قالت السيدة فاليسيا لانجر أن الذين نشروا هذه الشائعات وردّدوها هم الذين خططوا للهجوم وكانوا يهدفون إلى تشتيت بالانتباه عن المجرمين الحقيقيين .

بعد أسبوعين من الهجمات كان أحمد سابا ، رئيس مجلس قرية سيروف بين بيت لحم والخليل كان قد أوقظ من نومه الساعة الواحدة بعد منتصف الليل بواسطة رجال يرتدون زي الجيش الإسرائيلي يطرقون باب بيته وعندما رفض فتح الباب لهم – حاولوا تحطيمه والدخول عنوة .

وعندما أحس المواطنون من أهل القرية بما يجري أحاط بالسيارة العسكرية ٤٥٠٠ مواطن فلسطيني أخذوا يقذفون الحجارة .

قام الإسرائيليون بإطلاق الرصاص من بنادقهم النصف آلية . غادروا المكان عند مدخل البيت وضعوا قنبلة .

أبلغ أحمد سابا الشرطة التي بعثت أحد المتخصصين لإبطال مفعول القنبلة . وقال أنه تعرض للهجوم في ول يونيو ١٩٨٠ (الليلة السابقة للهجوم الذي وقع على رؤساء البلدية بسام الشكعة وكريم خلف) . طبقًا لما ذكرته جريدة دافار ٢٨ يونيو ١٩٨٠ .

وذكر أنه حين شارك في اجتماع احتجاجي ضد حادث تفجير سيارة السيد الشكعة . وقام ضابط إسرائيلي باستدعاء باروخ (المعروف لدى الفلسطينيين جيدًا بأنه سادي ومتخصص في التعذيب) .. وقال باروخ : أن أحمد سابا سوف يتم الاهتمام بأمره ... ومثل هذه التهديدات – تلقى اهتمامًا من الفلسطينين ويأخذونها بجدية .

على سبيل المثال في ١٧ إبريل سنة ١٩٨٠ قام الطلاب العرب بالجامعات الإسرائيلية بعقد اجتماع للتعبير عن احتجاجهم ضد الهجوم الدموي الذي شنته قوات جيش الاحتلال ضد الطلاب العرب بجامعة حيفا .

هدد ضابط إسرائيلي عضو لجنة الطلاب العرب رفيق بدرنة قائلاً : سوف نحطم لجنتكم .

بعد عشرة أيام تم القبض على رفيق بدرنة بتهمة كتابة شعارات على جدران أحد المنازل قبل ستة أشهر مضت وهي الواقعة التي لا يعلم عنها بدرنة شيئًا اعتقل بدرنة لمدة ٢٥ ساعة وتعرض للإهانة والضرب بشدة حتى أنه فقد ثلاثة من أسنانه .

وخلال الاعتقال هدد معتقلوه أثناء التحقيق مرارًا بتحطيم لجنة الطلاب العرب .

طبقًا لتقرير نشرته جريدة التايمز البريطانية في ١١ سبتمبر ١٩٨٠ جاء في هذا التقرير أن إبراهام باشيتوف رئيس «الشين بيت» (جهاز الأمن الإسرائيلي السري) قد استقال من منصبه لمنعه من مواصلة التحقيق في حادث الهجوم على رؤساء البلديات الفلسطينيين .

جاء هذا الخبر في مجلة إسرائيل وفلسطين التي تطبع في باريس – يطبعها الإسرائيلي مكسيم جيلان – عضو سابق في عصابة شتيرن – رحل عن إسرائيل سنة ١٩٦٩ ، وهو رجل معروف ومشهور بصدق معلوماته فيما يتعلق بأجهزة الأمن الإسرائيلية .

في عدد ٢ يونيو سنة ١٩٨٠ – من هذه المجلة – نفس اليوم الذي وقع فيه حادث الهجوم على رؤساء البلديات نشرت المجلة تفصيلات جديدة إذ ذكرت أن هناك مؤامرة لاغتيال العمد وتدمير ونسف المسجد الأقصى .

كما جاء في التقرير أيضًا أن استقالة السيد أشيتوف (رئيس الشين بيت) سحبت مؤقتًا لأن مناحم بيجن طلب منه الاستمرار في منصبه حتى نهاية العام وذلك لتكذيب تقرير ظهر في الواشنطن بوست الأمريكية يؤكد خبر استقالته بسبب منعه من متابعة نتائج التحقيق مع اثنين من المتورطين في حادث التفجيرات .

ثمة اعتقاد بأن أشيتوف كان يعتقد أن الرجلين الإسرائيليين المشكوك فيهما قام كل منهما بقيادة مجموعة من ثلاثة أفراد في مجموعات كوماندوز خاصة هي التي وضعت القنابل في سيارات العمد .

وجاء في التقرير أيضًا أن الرجلين المشكوك فيهما ينتميان لمجموعة يشكلها أحد مستشاري بيجن ممن ينتسون لجناح يميني شديد التطرف عندما كان بيجن في

المعارضة د. وفي ذلك الحين شجع بيجن تشكيل إدارة سرية للقتل والاغتيال . هذه الإدارة استفادت من المجموعات والرجال شديدي التعصب والتطرف دينيًا .

ويذكر التقرير أن زعيم المجموعة طالب سابق بإحدى الجامعات الإنجليزية . كان عميلاً للموساد (جهاز الاستخبارات الإسرائيلي) وشكل جماعات تسمى عقاب الرب تكونت خلال فترة رئاسة السيدة جولدا مائير للوزارة . وقامت بقتل أعداد كبيرة من الفلسطينيين في أنحاء العالم .

لقد استفاد من خدمات جماعات زيلوت Zealo (إحدى الجماعات اليهودية المتطرفة والمتعصبة) في إسرائيل . الضفة . الولايات المتحدة . فرنسا . ألمانيا . هولندا . إيطاليا .

والمتعصبون كانوا يعدون لعمليات كوماندوز خاصة مثل تلك العمليات التي نفذت ضد عمد الضفة . ولقد تردد أن هذه الجماعات هي المسئولة عن التفجيرات . ولما علم المستر أشيتوف بهذا كان حتمًا أن يتقدم باستقالته وعقب وقوع حوادث الهجوم على العمد قام آمنون كابلوك بزيارتهم بالمستشفى .

علن أن كريم خلف قد فقد ثلاثة لترات من الدم وأحضر إلى المستشفى وهو في حالة من الصدمة وأن عملية البتر التي أجريت لساقه استغرقت ثلاث ساعات .

بالقرب منه في غرفة مجاورة كان يرقد اثنان من الشباب - الطلاب بجامعة بيرزيف . سألهم د. كابلوك عما إذا كانوا قد جرحوا في اليوم السابق خلال المظاهرة؟ - أية مظاهرة ؟

هكذا سأله واحد منهم وهو طالب كان يدرس علم الجيولوجيا . ثم استطرد : لقد كنا سائرين على أحد الطرق الرئيسية عندما مر بنا أحد المستوطنين وهو في سيارة مدنية ومعه بعض العسكريين طلب منا التوقف . لكننا لم نفعل . ولم نعط

الأمر أهمية . فجأة حين كنا نحاول تجنبهم أطلق الرصاص تجاهنا . لقد جرحت في ظهري وجرح صديقي رياض عناية في ظهره وساقه .

ألم تقذفهم بالحجارة؟ هكذا سأل كابليوك – لا – أجاب الطالب غاضبًا – لم نقذفهم بالحجارة ولا بقطع من الورق . لقد أطلقوا النار علينا بلا سبب .

ذهب د. كابليوك إلى المستشفى الذي كان يعالج به بسام الشكعة بضاحية الرافدين بمدينة نابلس حتى يطمئن عليه ويتابع حالته التي كانت ما تزال خطيرة لأن ضغط الدم كان ما يزال عند الصفر والنبض توقف مرتين . تطلب الأمر نقل كميات من الدم إليه إذ أنه فقد سبعة لترات من الدم .

بينما الأقارب والأصدقاء يقفون بالممر بالقرب من غرفته في صمت .. وكتب د. كابليوك أن السيدة عناية زوجته كانت ترقد في غرفة مجاورة وما تزال في حالة صدمة ولا يسمح لأحد بزيارتها .

اقترب الصحفي من السرير وكتب :

المشهد مخيف . يستطيع المرء أن يشاهد بوضوح رغم البطاطين المغطى بها الشكعة إلا أن الواضح أنه فقد ساقيه . كان يرحب بنا في صوت ضعيف قائلاً : شكرًا لحضوركم .. سوف يعلم الإسرائيليون بذلك . المجرمون بدأوا بنا وسوف ينتهون باليهود . لن يتوقف ذلك . لن يدعونا نعيش في سلام . ولن يستطيع اليهود الإسرائيليون العيش في سلام .

الأساليب التي يستخدمونها ضدنا سوف يستخدمونها مع اليهود . ليس لديهم أي احترام لأي قيم إنسانية تتعلق بنا وسوف يستخدمون نفس الأساليب معكم .

إنها إذن مهمة قوى السلام في إسرائيل أن تناضل بشدة ضد أعداء السلام وضد الذين يحاولون عرقلة مسيرة السلام العادل . ويمضي كابلوك : عندما سألناه كيف

يشعر؟ أجاب رئيس البلدية : روحي المعنوية الآن أعلى وأفضل مما كانت عليه قبل الهجوم الغادر والجبان .

استمر قائلاً : وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة : لقد حسبوا أنهم يستطيعون قهر أرواحنا وهزيمة إرادتنا لكننا لن نوقف النضال في سبيل حقوقنا .

إنهم لا يفهمون مغزى أن أحدًا لا يستطيع قهر إرادة الشعب كله .

وبالقرب من السرير رفعت بعض الشعارات الوطنية تقول : لو أن مناضلاً فقد ساقيه فإن أقدام الشعب الفلسطيني كله تقف على أرض فلسطين .

سوف يعذبوننا . يقتلوننا . يرحلوننا . لكن أبدًا لن نستسلم .

كلمة بسام معناها الابتسام . أي الضحك . ولقد وزعت صوره وهو على السرير بالمستشفى وعلى وجهه ابتسامة أبدًا لا تغيب .

أحد الفلسطينيين كان في كندا زار الشكعة حين كان في لندن . قال : لقد حدثت لي صدمتان : الأولى : حين سمعت الأنباء المروعة عن الجراح التي أصيب بها . وأما الثانية : حين شاهدت الأخبار في التليفزيون . وكان وجهه تعلوه ابتسامة .

تعليقًا على محاولة اغتياله قال بسام الشكعة : هذه حلقة ضمن سلسلة تحاول بها السلطات إجبارنا على قبول اتفاقيات كامب ديفيد .

إنه أمر طبيعي أنهم لا يستمعون لنداء السلام والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في العيش بسلام .

مثل أي دولة عدوانية . إنهم يغرقون في القمع والقهر والرعب . لا تنس أن تفجير سيارتي سبقه حادث إطلاق نار على طالب ببلدة النبطة في ١ مايو بواسطة الحاكم العسكري لطولكرم في وقت لاحق قام بزيارة والد الطالب الذي أطلق عليه الرصاص وقال له :

إنني آسف لأن ابنك هو الذي قتل لأن الابن المقصود بالقتل هو ابن بسام الشكعة وابن حلمي كمون رئيس بلدية طولكرم . هذان هما المقصودان بالقتل . ينبغي أن يكون واضحًا أن هذه هي سياستهم ترحيل ونفي الزعماء وتحطيم المنازل وإخلائها من ساكنيها الذين يقذف بهم في الشارع واستمرار الاستيطان ومصادرة الأراضي .

كل هذه الأعمال ضد السلام وضد العدل . الكثيرون من أصدقاء بسام الشكعة من الفلسطينيين ومنهم : إلياس فريج رئيس بلدية بيت لحم لم يستطيعوا زيارته في المستشفى لأنهم كانوا قيد الاعتقال الجبري في محافظاتهم رغم ذلك فإن الذين اتصلوا به وبالآخرين من ضحايا الهجمات واجهتهم بعض الحقائق التي لا يمكن التهرب منها والتي جعلتهم يطرحون التساؤلات العديدة على سبيل المثال كتب داني روبنشتاين في صحيفة داثار ٢٧ يونيو ١٩٨٠ أنه ليس من السهل الحصول على المعلومات في الضفة الغربية بسبب نظام الاتصال التليفوني السيئ (بتعليمات من الحاكم العسكري لم يتم توصيل أي خطوط تليفون حديثه منذ ١٩٦٧ في الضفة الغربية) رغم هذا فقد علم أن كريم خلف قد أخبر الكثيرين في المستشفى أنه قد مضت ثلاثة أسابيع منذ محاولة اغتياله ولم يأتي إسرائيلي واحد لاستجوابه أو استجواب أحد من جيرانه كذلك .

قال أيضًا : أنه والشكعة قد شاهدا إسرائيليين بالقرب من منازلهم ليلة وقوع الحادث .

لم تدلي السلطات الرسمية باي معلومات عن أي تحقيق حول الحادث .

عندما زار بيجن قيادة مراكز الشرطة الإسرائيلية هذا الأسبوع أعلن راديو إسرائيل أن التحقيق حول حادث التفجيرات الذي أصاب رؤساء البلديات قد انتهى .

أضاف : ليس واضحًا بعد من الذي دبر هذا الحادث ضد أحمد سابا . كما ليس

واضحًا من الذي دبر الأحداث الأخيرة في الضفة في الفترة الأخيرة .

كتب آمنون كابليوك في جريدة عآل هامشيمار – الإسرائيلية – عن النقص في المعلومات التي تجري حول اغتيال رؤساء بلديات الضفة بالمقارنة مع ما يجري حين يحدث هجوم على اليهود .

وكتب آمنون كابليوك في مقال بعنوان : هذه هي الطريقة التي يتعاملون بها في المناطق المحتلة بجريدة آل هامشيمار ٢٧ يونيو ١٩٨٠ :

تغريد البوتما فتاه موهوبة شابة وهادئة كانت تغادر الأتوبيس الذي نقلها من قريتها البطير في بيت لحم وظلت تمشي مع صديقاتها في اتجاه الجامعة . أطلقت رصاصات في اتجاهين . وسقطت تغريد بعد إصابتها على الأرض . قاموا بنقلها إلى المستشفى القريبة ومن هناك نقلت إلى مستشفى هواتش . بعد عدة أيام من المعاناة والعذاب ماتت .

حضر جنازة الفتاة التي لم تتجاوز العشرين من عمرها عدد قليل . أحاط الجيش بالقرية وسد مداخل الطرق إليها ومنع أي أحد من الدخول أو الخروج كتب د. كابليوك : لم يجري تحقيق ولم يطلب أحد في المحكمة رغم وجود شهود عيان للجريمة . ويضيف :

نحن نشك أن القضية مثل العديد من غيرها من القضايا في الأرض المحتلة سوف يتم حفظها .. ومجرد يصبح لها رقم .. ثم يطويها النسيان في إسرائيل .. ولكن بالنسبة للعرب لا .. فمنذ وقت غير بعيد نشرنا في هذه الصحيفة عن الحصار وفرض حظر التجوال على مدينة الخليل في شهر مايو .. وقد ذكرنا ما فعله الجنود الذين قاموا بضرب العمال العرب الذين كانوا عائدين من أعمالهم . ذكرنا المكان الذي حدثت فيه الواقعة وأسماء بعض العمال والساعة التي حدثت فيها . وبعد أقل

من أسبوع أعلن متحدث باسم الجيش الإسرائيلي في الإذاعة أن أحد الجنود وقعت عليه عقوبة . وعلى حد قول بروفسور شاحاك : اكتفوا بتوجيه اللوم ...

يضيف د. كابلوك :

هذه المرة لا يوجد حاجة إلى صحفي كي يتدخل . الحقائق واضحة ومعروفة . لماذا ينتظرون؟ إذا لم يعاقب الرجل الذي أطلق النار عليها سيصبح مفهومًا لدى السكان في الضفة وفي الأرض المحتلة – سوف يصبح مفهومًا لدى الجميع أن الدم العربي رخيص .. وبلا مقابل .

ويضيف د. كابلوك :

إن تحقيقًا آخر يجري بشأن المحاولة الإجرامية لاغتيال رئيس بلدية نابلس ورام الله – بالضفة الغربية – بدأ يثير الكثير من الشكوك .

قال كابلوك :لقد مر شهر منذ أن تم بتر ساقي الشكعة وخلف . لكن المتحدث الرسمي أوضح أنه لم يتم التعرف على شخصيات مرتكبي الحادث .

أكثر من ذلك – كما يقول كابلوك – البعض يروج لشائعات خبيثة وشريرة تقول أن الجريمة ارتكبها بعض العرب .

جريدة معاريف هي الأكثر نشاطًا في هذا الصدد . ربما لتغطي الانطباع بأنها أكثر وطنية .

ثم مضى يوضح : ليست هناك رغبة لكشف المجرمين . وليست هناك رغبة في محاكمتهم .

الحقيقة أن الإيمان بفلسفة الهجوم ليست شيئًا بعيدًا عن عقلية رئيس وزرائنا . لم نسمع أنه تم القبض على أحد أو حتى البحث عنه .

عندما يقوم طفل بإلقاء حجر في أي مكان بالضفة يفرض فورًا نظام العقاب الجماعي وتصبح القرية بأكملها تحت الحصار وحظر التجوال وتواجه شتى أنواع الإهانة والتعذيب .

وعن قذف الحجارة الذي يتم توصيفه لدى الصحافة الغربية وكذا لدى اليهود بأنه ينجم عنه ردود الفعل الآثمة لدى الإسرائيليين يعلن البروفيسور شاهاك : على عكس كل الاعتقادات السائدة سواء لدى الصحافة الغربية أو اليهود فإن هؤلاء الذين يقذفون الحجارة يمثلون نوعًا من الهجوم الشجاع على مركبة عسكرية بواسطة أطفال صغار غير مسلحين .

في مقال بجريدة دافار ٤ مارس ١٩٨٠ كتبت شولاميت أكوفي عضو الكنيست مقالاً بعنوان : التحقيق . التحقيق .. قالت فيه : أن قوات الأمن والبوليس والجيش سببت للمواطنين الإسرائيليين الكثير من الارتباك والمشاعر القاسية (في يهوذا والسامرا) – (تعني الضفة الغربية – المترجم) .

الأحداث التي جرت ذكرت الناس بالوقائع التي حدثت في أوربا الفاشية وخلال الحرب العالمية الثانية – عندما يقتل يهودي في الضفة الغربية – هكذا كتبت شولاميت أكوفي بوضع المدينة بأكملها تحت الحصار وحظر التجوال الذي لا يفرض على جميع المواطنين ولكن على العرب فقط وتظل الاستجوابات والتحريات قائمة . لكن عندما يهاجم اليهود أحد العرب من أبناء الضفة لا استجوابات ولا تحقيقات وحتى لو أجريت فإنها تغلق وتطوى صفحاتها بسرعة بحيث لا يتم العثور على الجاني أبدًا .

القتلة في جريمة حلحول لن يقدموا للعدالة أبدًا . (هكذا توقعت وثبت صحة توقعاتها فيما بعد) . وهؤلاء الذين أساؤوا معاملة الشباب الصغار السن في الخليل

قبل عامين وقاموا بتعرية أجسادهم للكلاب المتوحشة تفترسهم حتى أن أحد هؤلاء الأولاد مات من شدة التعذيب – هؤلاء المشار إليهم – لن يقدموا للمحاكمة .

في ٢ فبراير ١٩٨٠ تعرض جلال جابري وهو مواطن عربي في السبعين من عمره للهجوم الذي قام به ثلاثة من المستوطنين من مستوطنة كريات عربة . ونتيجة لذلك حمل إلى المستشفى بالخليل وهو يعاني من مرض شديد وفي حالة خطرة هددته بفقد البصر . يقع بيته بالقرب من مستوطنة كريات عربة .

وقد تعرض لعدة مضايقات وهجمات في الماضي قام بها المستوطنون لإرغامه على إخلاء وترك منزله حتى يتسنى لهم الاستيلاء عليه ونزع ملكيته .

في نفس اليوم الذي جرى فيه الهجوم على جلال جابري قام المستوطنون أيضًا بالهجوم على عائلة أدريم التي تعيش في هذا البيت القرية من المستوطنة . حطموا النوافذ بالمنزل . لم يتخذ البوليس أي إجراء تجاه أي من الواقعتين .

كتبت أكوفي : لم تبدى السلطات أي تعليق ولم يبذل أي جهد للكشف عن مرتكبي الحادثين .

مسئول بالشرطة قال أنه لم يتخذ إجراء لأن الرجل العجوز (الذي كان يرقد فاقد الوعي بالمستشفى لم يتقدم ببلاغ رسمي) طبقًا للقانون كان ينبغي إجراء تحقيق سواء تم التقدم ببلاغ أم لا .

أضافت مسز أكوفي :

الكل يعلم لو أن جريمة مماثلة وقعت هل ستقف السلطات مثل هذا الموقف لو أن اليهود هم من تعرض للهجوم ؟! وكتبت أيضًا : أنه في يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٧٩ اقتحمت الشرطة جامعة بيرزيت وأساءت معاملة الطلاب الذين تقدموا بشكوى رسمية حول واقعة تعرضهم للضرب وتحطيم ساعاتهم وامتهان كرامتهم .

رئيس الجامعة تقدم بشكوى أيضًا حول تعرضه للضرب على وجهه أمام المدرسين والطلاب .

في يوم ١٣ فبراير ، تقريبًا بعد شهرين من وقوع هذا الحادث جرى استجواب في الكنيست حول هذه الواقعة . وقدم نائب وزير الدفاع إجابة تدعو للدهشة : «موضوع الاستجواب ما يزال أمام الشرطة العسكرية وحيث أن التحقيق لم يكتمل بعد لا أستطيع الإجابة على أسئلتكم أو شرح ظروف الحادث » .

أضافت مسز أكوفي : « أنها متأكدة تمامًا أنه لم يحدث شيء حول هذا الموضوع حينذاك .. ولا في المستقبل » .

في مقال لها نشر قبل ثلاثة شهور من وقوع الاعتداءات على رؤساء بلدية الضفة كتبت مسز أكوفي :

الحقيقة المفزعة أنه في هذه الحالات من التعذيب البدني والمعاملة السيئة التي لا تستطيع السلطات العسكرية إنكارها لأن هناك شهودًا وأدلة عليها فإن التحقيق والمحاكمة – كلاهما يتم في سرية وتحت هيمنة الرقابة العسكرية ما هي قيمة التحقيق والمحاكمة – كلاهما يتم في سرية – إذا لم ينشر عنها شيء؟!!

هكذا تسأل – في أغلب الحالات لا ينشر شيء حتى لا يدرك العالم أن جرائم اليهود ضد العرب تمضي بلا عقاب .

تضيف : ليس هناك عامل مانع أو عائق في المحاكمات المغلقة التي يحرص عقدها والتي تخضع لشروط الرقابة على النشر – ليس هناك ما يمنع أن يقوم رجال الشرطة وجنود الجيش الذين يتم إرسالهم إلى الضفة – من أن يقوموا بإستصدار أوامر بحظر التجوال وأن يقوموا بحراسة أعضاء جماعات جوش أمونيم .. فكيف إذن في ظل هذا التعتيم والحصار أن يعرف أن قد وقع سوء معاملة للعرب أو تعذيب أو

ضرب أو تحطيم نوافذ أو سرقة قطعان ماشية أو إهانة أو تحقير لهم ؟!!

تقول آموني : القضية الوحيدة التي سمح بالنشر حولها هي حين أمر الحاكم العسكري الجنود بإلقاء قنابل الغاز المسيل للدموع على التلاميذ في فصول الدراسة وفي نفس الوقت صدر بيان من أحد الخامات – وهو عضو بالكنيسة – الحاخام دروخمان – تم نشره قال فيه :

قنابل الغاز لا تسبب ضررًا للأطفال العرب . وعندما تم بتر سيقان عمد الضفة بعد حادث التفجيرات قال دروخمان : هكذا سوف نهلك أعداء الرب .

كتب داني روبنشتاين في صحيفة دافار الإسرائيلية ٦ يونيو ١٩٨٠ :

عندما يتم اكتشاف محاولة إسرائيلية لبث الرعب بإلقاء متفجرات أو وضع قنابل يحدث نوع من التكتم والتعتيم الإعلامي .

قبل شهر مضى قبض على أربعة مستوطنين من بيت الـ Beth EL يحطمون السيارات والنوافذ والمنازل في مناطق البيرة ورام الله إحياء لذكرى ليلة الكريستال النازية [1].

سألت رجال الشرطة عما إذا كان المستوطنون قد تم التحقيق معهم أو وجهت إليهم اتهامات وكيف يجري التحقيق وأين كانوا . قال المتحدث الرسمي باسم

(١) جرت هذه الواقعة (واقعة ليلة الكريستال) في ٩ نوفمبر ١٩٣٨ كرد فعل انتقامي لقتل دبلوماسي ألماني في باريس – قام بقتله هرشل جزمز بان وهو شاب يهودي بولندي – كرد فعل لهذا الحادث – قام النازيون بشن هجوم كبير على اليهود في ألمانيا – وفي تلك الليلة التي سميت ليلة الكريستال تم إحراق جماعات من اليهود وحطمت محلاتهم التجارية وضرب البعض وعذبوا . وقتل آخرون ولأن الشوارع الألمانية حيث جرت هذه الواقعة تم إغلاقها بألواح من الزجاج في الصباح التالي فقد سميت ليلة الكريستال .

الشرطة أنه ليس من واجبهم الإدلاء بمعلومات عن الأرض المحتلة .

عندئذ اقترب داني روبنشتاين من السلطات العسكرية التي ظلت ترسله من واحد إلى آخر دون أن يظفر بأي جواب .

....

....

الواقعة التي سنذكرها صحيحة . إذ تم اكتشاف متفجرات في أعلى سقف إحدى الكليات الدينية بالقدس .

من الذي قبض عليه ؟

من الذي وجه إليه الاتهام ؟

لا توجد إجابة واضحة . فقد صار اتهام خفي وغامض ضد رابي كاهانا .

إذن من الذي تم اعتقاله إداريًا ؟

رسميًا يعلنون أ، رابي كاهانا لا علاقة له بحادث المتفجرات . إذن هو على علاقة بماذا ؟

يضيف : لا أحد في إسرائيل يشعر بالارتياح إذا وجهت تهمة إلى أحد اليهود من تلك التهم التي تتسم بالقتل إذ يفيدون أن مثل هذه الأعمال أعمال وطنية البعض يعتقد أن كشف من قاموا بهذه الأعمال قد يضع إسرائيل على حافة حرب أهلية .

وحتى يجعل اليهود – يبدوا كأنهم غير مسئولين عن حوادث التفجيرات التي أدت إلى بتر ساقي العمد مضى قائلاً : أن رؤساء البلدية قد قاموا بوضع سياراتهم بعيدًا عن منازلهم لأنهم تلقوا تحذيرات ما قبل وقوع التفجير ولهذانحن نتعامل مع صراع داخلي – داخل منظمة التحرير الفلسطينية P.L.O.

إن القيام بارتكاب جريمة آثمة وشريرة شيء سيء جدًا وأن تقوم بحماية مرتكبي الجريمة وترفض تقديمهم للعدالة فهذا أيضًا شيء سيء بالمثل .. لكن أن تحاول إلصاق التهمة بالفلسطينيين فهذا ربما كان مؤشرًا دالاً على طبيعة الصهيونية .

على أية حال . لقد رفض داني روبنشتاين بحزم هذه الأكذوبة الخبيثة التي تقول : أن سيارة بسام الشكعة تم وضعها بحديقة منزله وليس بعيدًا عن بيته .

سأل روبنشتاين رئيس بلدية البيرة : لماذا وضع سيارته بالقرب من الجاراج وأجاب الرجل ببساطة تامة أنه بعد قيام مستوطنين بتحطيم زجاج السيارات في المدينة فقد أخفى سيارته بالليل .

مضى داني وربنشتاين قائلاً :

هكذا يفعل أي شخص آخر في رام الله أو البيرة بعد تحطيم ١٢ سيارة قبل شهر وبالنسبة لرئيس البلدية . لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تتعرض فيها سيارته للتحطيم ولكن حدث ذلك مرات عدة من قبل .

لسوء الحظ فقد قام المراسلون الصحفيون الإسرائيليون بنشر هذه الأكاذيب دون أن يسألوا أحدًا من سلطة الاحتلال ودون أن يكلفوا أنفسهم مشقة البحث عن إجابة للسؤال : لماذا أخفيت السيارات هكذا بعيدًا عن الأنظار ؟

على أية حال لو أنه كان هناك تحذير لرؤساء البلدية بتوقع تفجير سياراتهم لكان من المحتم ألا يحاولوا تشغيل هذه السيارات وركوبها مثلما حدث بالفعل .

يضيف داني روبنشتاين : المرحلة التالية سوف تكون عنف اليهود ضد اليهود .

الإخفاء المتعمد للحقائق حول بدايات الرعب في الضفة الغربية والإعلان الصريح عن سعادته بما جرى التي أعلنها رابي دروكمان – تكثف الفجوة السياسية داخل إسرائيل . يقول : ربما سنكتشف سريعًا أن الصراع العربي – اليهودي القائم

ليس أكثر أهمية وأن الحروب المقبلة لليهود هي الأكثر أهمية .

لم يكن رابي دروكمان الوحيد في التعبير عن سعادته لبتر ساقي ممدة الضفة فقد عبر يوسي دايان زعيم حزب كاخ وهو التنظيم المتطرف لمائير كاهانا . عبر صراحة عن سعادته بحادث التفجيرات .

في تقرير للجارديان ٩ يونيو ١٩٨٠ :

دايان الذي هو أحد زعماء «منظمة الدفاع عن اليهود» – وهي منظمة عنصرية تتسم بالعنف – شكلت ما يسمى المتحف المحتمل للهولوكست – أعلن دايان . هذه هي البداية فقط .

وعندما قيل أن هذا نوع من التحريض (جريمة اتهم بها عديد من الفلسطينيين وتم عقابهم بفظاعه) . قال : أنه يتلقى الأمر من التوراة . ثم أضاف : بمجرد أن يرحل العرب عن هذه الأرض سوف تكون متاعبهم أقل .

الياش (إسرائيلنا) وهي حركة يمينية متطرفة أيضًا تصف نفسها بأنها قلب الصهيونية داخل الجامعات الإسرائيلية تشارك يوسي دايان نفس وجهة النظر هذا التنظيم اليميني المتطرف طالب بالسماح لجميع الطلاب بحمل السلاح في جامعة حيفا وأن يتم طرد جميع المؤيدين لمنظمة التحرير الفلسطينية P.L.O.

في ١١ مايو ١٩٨٠ قام قادة تنظيم ياش بتوزيع منشورات وقع عليها بما تسمى : التنظيم الذي يحرر أرض إسرائيل . وفي هذه المنشورات يقررون أن العرب لا يمكن لهم العيش في مجتمع ديمقراطي وأن هناك ضرورة لتطبيق القانون العسكري على العرب الذين يعيشون في إسرائيل مثلما يطبق على الذين يعيشون في الأرض المحتلة .

في اليوم التالي أعلنت حركة ياش أنه إذا لم تقم الجامعة بطرد أنصار منظمة الحرير

الفلسطينية – فإنهم سيفعلون ذلك بأنفسهم . وقاموا بإغلاق مداخل المباني الرئيسية للجامعة لمنع الطلاب العرب من الدخول . ثم شنوا هجومًا على الطلاب العرب داخل المبنى وحاولوا إجبارهم على الخروج من الجامعة .

ضابط الأمن هدد باعتقال الفلسطينيين الذين هوجموا – وليس أعضاء حركة ياش .

قام وفد يمثل الحركة الديمقراطية للطلاب العرب واليهود بلقاء العميد وحذروا السلطات من أن هناك ثمة تطورات فاشية خطيرة يتبناها ويشجعها رئيس الجامعة ثم قدموا شكوى رسمية ضد بعض أعضاء حركة ياش الذين مارسوا أعمال العنف ضد الطلاب لكن الشكوى تم تجاهلها ولم يتخذ أي إجراء ضد أعضاء حركة ياش .

يوم ٢٧ مايو أقامت الحركة مظاهرة (هذه المظاهرات تعقد بشكل منتظم في الجامعات ويطالبون فيها بطرد الطلاب الفلسطينيين) هذه المرة تلقوا مساندة من طلاب جامعات أخرى . وكانوا مسلحين بسكاكين والسلاسل والهراوات .

هوجم الطلاب العرب بالهراوات . لكن سلطات الجامعة لم تتخذ أي إجراء . بعد يومين قام الطلاب العرب بعقد اجتماع للاحتجاج ضد العنف الإجرامي الذي تمارسه جماعة ياش وكذا ضد الموقف السلبي لسلطات الجامعة . كما احتجوا على طرد اثنين من الطلاب من جامعة بير سبع .

خلال الاجتماع المنعقد للطلاب العرب ظل أعضاء جماعة ياش يتصرفون إزاءهم بشكل عدائي ويصيحون : العرب يرحلون . عودوا إلى دياركم .

في ٣ يونيو قام الطلاب العرب بتنظيم اجتماع للاحتجاج ضد محاولات الاغتيال التي جرت ضد رؤساء بلدية رام الله والبيرة والخليل . جاء أعضاء حركة ياش وأخذوا

يرفضون «الحرة» في مواجهة الطلاب الفلسطينيين وهم يصرخون : سوف ينتهي بكم الحال إلى نفس ما جرى لرؤساء البلدية .

قررت لجنة الطلاب العرب عقد اجتماع في يوم ٥ يونيو ذكرى بدية الاحتلال . وطلب عميد الكلية منهم عقد معرض للرسم والفنون «سمبوزيوم» بدلاً من المظاهرة . واقترح أن تتم بإشراف الجامعة .

في اليوم التالي ألغي مدير الجامعة تصريحًا بتخصيص إحدى القاعات للمعرض . دعت اللجنة إلى إضراب احتجاجي . وقام رئيس الجامعة بإلغاء القرار .

في نفس هذا اليوم قامت حركة ياش بإحضار مائتي طالب من المجرمين من خارج الجامعة مسلحين بالسكاكين والسلاسل . دخلوا الجامعة قبل بداية الاجتماع ثم أخذوا يصرخون :

عودوا إلى بلادكم أيها العرب . ثم أخذوا يرقصون وهم يلوحون بأعلام إسرائيل . ومنعوا المعرض من أن يقام وحين بدأ المشاركون في المعرض يغادرون المكان تعرضوا للاعتداء البدني من حركة ياش الذين تجمعوا في الخارج . أشعلوا النيران وأخذوا يصرخون في الطلاب العرب : تعالوا لتأكلوا الكباب المصنوع من ساقي الشكعة .

في جامعة تل أبيب هناك أعضاء نشطون بتنظيم كاهانا المتطرف وهم من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . حضروا ومعهم بعض القطط الميتة . وضعوا لحمها على النار بأحد المعسكرات وأخذوا ينادون على المارة : تعالوا لتتناولوا الكباب المصنوع من ساقي الشكعة .

ولما تقدم الطلاب العرب بشكاوى إلى رئاسة الجامعة والشرطة كان الرد بأن للطلاب الحق في التظاهر السلمي وحرية الكلام .

(التعليق على هذه الأفعال يعد أمرًا غير ضروري) ولكن حقيقة أن مرتكبي الجرائم ومن خططوا لها يجري حمايتهم من قبل السلطات الإسرائيلية ومن قبل التظاهرات التي يجري تنظيمها بحماية هذه السلطات يعطي الإحساس بأن الفلسطينيين يحكمهم نظام الرعب والشر .

تعد حالة بسام الشكعة واحدة من قائمة طويلة للزعامات الفلسطينية التي تتسم بروح البطولة والعزم والتصميم على تأكيد حق الشعوب في العيش بسلام وأمن ويعد محمود الهمشري مندوب منظمة التحرير الفلسطينية P.L.O. في باريس واحدًا أيضًا من الشهداء الفلسطينيين فقد قتل بتفجير قنبلة إسرائيلية عام ١٩٧٣ . وكنتيجة للحادث تم بتر ساقيه .

وبعد نحو شهر ظل خلاله متمسكًا بالأمل في الحياة بشكل شجاع رغم معاناته من شتى الآلام أسلم الروح . ومات متأثرًا بجراحه . لكن بسام الشكعة كان أكثر حظًا . يقول : لقد منحني الله الفرصة كي أعيش . أو لعله لم يكن مقصودًا موتي بعد .

بعد فترة علاج في عمان عاد إلى نابلس ليستمر في عمله كعمدة .

بعد شهر غادر نابلس إلى بريطانيا لمواصلة العلاج . وشعر الأطباء بالسعادة الكاملة للتقدم الصحي الذي حدث له .

في البداية تم الاستعانة بأطراف صناعية واستطاع السير بدون مساعدة مما يعد أمرًا نادرًا .

لقد ظهر على شاشة التليفزيون البريطاني أدلى بعديد من الأحاديث للصحافة والإعلام . كما تحدث إلى أعضاء بحزب المحافظين والعمال والحزب الليبرالي في مؤتمر بمقر معهد الكومونولث بلندن . تحدث عن وطنه وشعبه وآمالهم وأحلامهم ومعاناتهم الفظيعة .

أكثر من هذا تحدث عن الحب والأخوة بين البشر والتسامح والسلام . ورغم كل هذه المعاناة والحزن والقسوة والوحشية التي يعاني منها شعبه إلا أنه يتطلع إلى الأمام . ينتظر يومًا يسود فيه التسامح والإخاء والعدل وتنتهي معاناة شعبه الفلسطيني .

يقول بسام الشكعة : سوف أعود إلى نابلس وسوف أستمر في عملي كرئيس للبلدية وكمواطن بين شعبي . لست خائفًا مما يحمله المستقبل لأنني على الحق والطريق الصواب . والذين فعلوا هذا لي ولشعبي على الطريق الخطأ . لست خائفًا من السجون أو التفجيرات أو الانتهاكات التي ترتكب ضد حقوق الإنسان . كل ما أخشاه هو شيء واحد أن أخذل شعبي .

أي إنسان يعرف السجايا والصفات التي يتمتع بها بسام الشكعة سوف يدرك أن هذا الهاجس ليس له أساس . لكن الحقيقة الوحيدة المؤكدة هي أننا حين نتحدث عن رئيس بلدية نابلس إنما نرى رجلاً يعبر عن القيم والمبادئ والتواضع الإنساني والشرف مما يجعل الشكعة – إن شاء الله – يتبوأ مكانًا عاليًا مرموقًا بين زعماء فلسطين الحرة التي يتطلع إليها كل شرفاء العالم .

◆◆◆